مجموعة قصص الأنبياء

بإشراف

محمد أحمد برانق



١٧

أيوب

تصدرها

دار المعارف

مجموعة قصص الأنبياء

(١٧)

بإشراف
محمد أحمد برانق

أيُّوبُ

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

أَيُّوبُ . . . كَلِمَةٌ مَا تَكَادُ تَسْمَعُهَا الأُذُنُ حَتَّى يَتَمَثَّلَ لِسَامِعِهَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهِ ، وَأَرْوَعِ حَالَاتِهِ ! وَمَا تَقَعُ عَلَى خَطِّهَا الْعَيْنُ حَتَّى يَتَمَثَّلَ لِقَارِئِهَا الإِيمَانُ فِي أَقْوَى مَعَانِيهِ وَأَسْمَاهَا .

فَمَا هُوَ السِّرُّ فِي ذَٰلِكَ يَا تُرَى ؟! وَمَا هِيَ . . . كَلِمَةُ أَيُّوبَ ؟!!

لَا شَكَّ أَنَّنَا لَسْنَا فِي حَاجَةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى تَعْرِيفِ هَٰذِهِ الْكَلِمَةِ ! أَوْ بَيَانِ هَٰذَا الِاسْمِ !

فَقَدْ شَبَّ الصِّغَارُ دَائِماً عَلَى مَعْرِفَةِ أَنَّ كَلِمَةَ أَيُّوبَ اسْمٌ لِرَجُلٍ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِصَبْرِهِ الَّذِي جَاوَزَ كُلَّ حُدُودِ الصَّبْرِ ، وَ بِإِيمَانِهِ الَّذِي بَلَغَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الإِيمَانِ . . ! !

لِذَٰلِكَ تَرَانَا فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَعْرِفَ إِلَى أَيِّ حَدٍّ بَلَغَ إِيمَانُهُ وَتَقْوَاهُ . وَفِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَعْرِفَ مَبْلَغَ مَافَعَلَ إِبْلِيسُ وَأَعْوَانُهُ لِإِغْوَاءِ أَيُّوبَ بِالْخُرُوجِ عَنْ صَبْرِهِ وَطَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ لِلَّهِ ، وَكَيْفَ رَجَعَ إِبْلِيسُ بِالْخُسْرَانِ ، وَظَفِرَ هُوَ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ ، فَاتَّخَذَهُ رَسُولًا ، وَجَعَلَهُ أَخًا كَرِيماً لِلأَنْبِيَاءِ ! !

٢

وُلِدَ لِإسحَاقَ بْنِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَانِ ، هُمَا :
يَعْقُوبُ (إسْرَائِيلُ) ، وَعِيصُو .

أَمَّا يَعْقُوبُ فَقَدِ اسْتَوْطَنَ بِأَوْلَادِهِ بَرِّيَّةَ فِلَسْطِينَ ، وَأَمَّا عِيصُو فَقَدِ اتَّجَهَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ إِلَى شَمَالِ الشَّامِ حَيْثُ اسْتَوْطَنَ سَاحِلَ الْبَحْرِ ، وَهُنَاكَ تَنَاسَلَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَتَكَاثَرَتْ ، فَكَانَتْ أَقْوَامًا زَحَفَتْ حَتَّى اسْتَوْطَنَتْ بِلَادَ الرُّومِ .

وَمِنْ ذُرِّيَّةِ عِيصُو أَتَى رَجُلٌ تَقِيٌّ حَلِيمٌ صَبُورٌ صَادِقٌ ؛ غَلَبَ عَلَيْهِ اسْمُ أَيُّوبَ .

وَمِنْ ذُرِّيَّةِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ تَزَوَّجَ أَيُّوبُ فَتَاةً اسْمُها رَحْمَةُ كَانَتْ مِثْلَهُ صَلَاحاً وَتَقْوَى ، جَارَتْ زَوْجَهَا فِي عِبَادَتِهِ لِلّٰهِ ، وَفِي حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ لَهُ ، وَفِي تَقَرُّبِهِ إِلَيْهِ .

كَانَ أَيُّوبُ رَجُلًا غَنِيًّا ، ذَا مَالٍ كَثِيرٍ ، بَسَطَ اللّٰهُ لَهُ الرِّزْقَ ، وَأَفْسَحَ لَهُ طَرِيقَ الثَّرَاءِ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ يَمْلِكُ الْبَثَنِيَّةَ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ تَقَعُ بَيْنَ دِمَشْقَ وَأَذْرِعَاتٍ ،

وَيَمْلِكُ مَا فِيهَا مِنْ أَرَاضِيَ وَسُهُولٍ وَهِضَابٍ وَبِطَاحٍ ، لَهُ فِيهَا مَزَارِعُ خَضْرَاءُ مُنْبَسِطَةٌ فَسِيحَةٌ ، وَلَهُ فِيهَا بَسَاتِينُ مُزْهِرَةٌ مُثْمِرَةٌ مُونِقَةٌ ، وَلَهُ بِهَا بُيُوتٌ وَمُنْشَآتٌ وَدِيَارٌ . تَرْتَعُ فِي مَزَارِعِهِ الْأَبْقَارُ وَالشِّيَاهُ الْحَلُوبُ ، وَتُنِيخُ بِمَرَابِضِهِ الْإِبِلُ الْخِفَافُ ، وَالنِّيَاقُ الْوَلُودُ ، وَتَسْرَحُ بِأَرَاضِيهِ الْخَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ .

وَرَزَقَ اللهُ أَيُّوبَ فَوْقَ مَا رَزَقَهُ مِنْ نِعْمَةِ الْمَالِ ، نِعْمَةً أُخْرَى جَزِيلَةً مَحْبُوبَةً ؛ تِلْكَ نِعْمَةُ الْأَوْلَادِ مِنَ الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ ، فَقَدْ كَمُلَ لَهُ بِذَلِكَ مَا يَتَمَنَّاهُ كُلُّ امْرِئٍ لِنَفْسِهِ مِنْ مُتَعِ الدُّنْيَا وَرَفَاهَةِ الْحَيَاةِ ، وَلَذَاذَةِ الْعَيْشِ ، وَنَضْرَةِ النَّعِيمِ .

فَهَلْ كَانَ أَيُّوبُ بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا وَبَهْجَةِ الْحَيَاةِ مُنَعَّمًا مُرَفَّهًا ، يَنْعَمُ بِجَاهٍ وَمَالٍ وَيَهْنَأُ بِخَلَفٍ مِنْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ، وَيَنْسَى كُلَّ مَا عَدَاهُ ؟ ! الْحَقُّ لَا ! فَلَمْ يَكُنْ أَيُّوبُ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ كَمَا تَظُنُّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرْنَا لَكَ مَا ذَكَرْنَا ! !

إِذَنْ ، مَاذَا كَانَ ؟ ! هَلْ كَانَ بَخِيلًا ، يَضِنُّ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عِيَالِهِ فَلَا يُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ ، لِيَكْنِزَ الْمَالَ دِينَارًا فَوْقَ دِينَارٍ ، وَدِرْهَمًا فَوْقَ دِرْهَمٍ ؛ أَوْ لِيَزِيدَ فِي اتِّسَاعِ مَا يَمْلِكُ مِنْ أَرَاضٍ ،

أوْ لِيُشَيِّدَ فَوْقَ مَا شَيَّدَ مِنْ مَبَانٍ ؟ ! !

الْحَقُّ لَا ! فَلَمْ يَكُنْ أَيُّوبُ كَذَلِكَ أَيْضًا ! إِذَنْ ؛ مَاذَا كَانَ ؟!

كَانَ أَيُّوبُ ذَا مَالٍ ، وَلَـكِنْ كَانَتْ أَمْوَالُهُ لِمَنْ حَوْلَهُ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لِنَفْسِهِ ، وَكَانَ مِنْهَا زَكَاةٌ وَهِبَاتٌ وَعَطَايَا .

كَانَ بَرًّا بِكُلِّ مَنْ حَوْلَهُ ! يَرْعَى غِلْمَانَهُ وَخَدَمَهُ قَبْلَ أَنْ يَرْعَى أَهْلَهُ ؛ فَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ زَوْجٌ وَدَارٌ وَمَتَاعٌ ! وَلِكُلِّ غُلَامٍ مُدَّخَرٌ وَافِرٌ مِنَ الْمَالِ !

كَانَ لَا يَطْعَمُ طَعَامًا وَهُوَ يَعْلَمُ بِمَكَانِ جَائِعٍ يَشْتَهِي الطَّعَامَ !

وَكَانَ لَا يَأْتِي لِنَفْسِهِ بِرِدَاءٍ فَوْقَ رِدَاءٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُوجَدُ مَنْ هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى هَذَا الرِّدَاءِ !

وَكَانَ فَوْقَ ذَلِكَ لَا يَكُفُّ لِسَانُهُ عَنِ الْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ لِرَبِّهِ وَلَا يَفْتُرُ جَنَانُهُ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي اللهِ !

وَلَهَجَتْ أَلْسِنَةُ النَّاسِ بِذِكْرِ أَيُّوبَ ، وَبِالدُّعَاءِ لَهُ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ! ! وَعَمَرَتْ قُلُوبُهُمْ بِحُبِّهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ !

وَلَهَجَتْ أَلْسِنَةُ أَهْلِ السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِذِكْرِ أَيُّوبَ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ! فَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى لَكَ يَا أَيُّوبُ ! !

وَسَمِعَ إِبْلِيسُ تُحَاوِبَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ بِذِكْرِ أَيُّوبَ ! !

وَإِبْلِيسُ هُوَ الَّذِي عَصَى اللهَ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ أَبِي الْبَشَرِ حِينَ خَلَقَهُ اللهُ : فَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَطَرَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ جَزَاءَ عِصْيَانِهِ .

فَقَالَ لِرَبِّهِ : رَبِّ ؛ بِمَا أَغْوَيْتَنِي وَطَرَدْتَنِي بِسَبَبِ آدَمَ لَأُزَيِّنَنَّ لِذُرِّيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ ، وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .

ثُمَّ اسْتَطْرَدَ إِبْلِيسُ فَقَالَ : إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ .

فَقَالَ لَهُ اللهُ : إِنَّ عِبَادِي الْمُخْلَصِينَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ، إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ، اذْهَبْ وَاسْتَغْوِ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ، وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ، وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، وَعِدْهُمْ وَلَنْ تَعِدَهُمْ إِلَّا غُرُورًا ، وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْهُمْ مَوْعِدُهُمْ جَهَنَّمُ جَمِيعًا .

وَهٰكَذَا عَاهَدَ إِبْلِيسُ اللهَ عَلَى أَنْ يُغْوِيَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ كُلَّ مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغْوِيَهُ ! ! وَهٰكَذَا فَوَّضَهُ اللهُ وَأَحَالَهُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ضَالٍّ غَاوٍ ، ذِي نَفْسٍ ضَعِيفَةٍ ! ! وَهٰكَذَا تَجَنَّبَ إِبْلِيسُ غَوَايَةَ كُلِّ ذِي إِيمَانٍ سَلِيمٍ ، وَنَفْسٍ قَوِيَّةٍ . . ! !

وَتَغَيَّظَ إِبْلِيسُ وَتَمَلَّكَهُ الْحَسَدُ مِنْ أَنْ يَبْلُغَ إِنْسَانٌ مِنْ بَنِي آدَمَ مَا بَلَغَ أَيُّوبُ ، وَأَنْ يُذْكَرَ وَيُحْمَدَ بِمِثْلِ مَا يُذْكَرُ وَيُحْمَدُ بِهِ . فَقَالَ إِبْلِيسُ لِلْمَلَائِكَةِ :

لِمَ تُثْنُونَ عَلَى أَيُّوبَ كُلَّ هٰذَا الثَّنَاءِ ؟ ! !

قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : لِأَنَّهُ عَبْدٌ شَكُورٌ مُطِيعٌ لِأَوَامِرِ رَبِّهِ .

قَالَ إِبْلِيسُ : لَقَدْ وَهَبَ لَهُ اللهُ الرَّخَاءَ وَالنِّعْمَةَ وَالسَّعَةَ وَالْعَافِيَةَ ، وَأَعْطَاهُ الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ ، فَمَا لَهُ لَا يَشْكُرُ اللهَ وَيُطِيعُهُ وَيَعْبُدُهُ وَقَدْ أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ ! ! فَلَوْ أَنَّ اللهَ ابْتَلَاهُ بِبَلَاءٍ ، وَنَزَعَ عَنْهُ مَا أَعْطَاهُ — لَتَغَيَّرَ الْحَالُ وَلَتَرَكَ شُكْرَ اللهِ ، وَلَابْتَعَدَ عَنْ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ .

قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : إِنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ وَجْهَ اللهِ ،وَيَطْلُبُونَ عَفْوَهُ وَرَحْمَتَهُ — يَشْكُرُونَ اللهَ وَيُطِيعُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَفِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ .

وَهَبَطَ إِبْلِيسُ يَتَحَيَّنُ الْفُرَصَ الَّتِي يَسْتَطِيعُ فِيهَا النَّفَاذَ إِلَى قَلْبِ أَيُّوبَ ، وَالْوَسْوَسَةَ فِي صَدْرِهِ بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالشَّرِّ ، وَيَصِلُ بِهِ إِلَى غَضَبِ اللهِ . . ! !

٣

كَانَ أَيُّوبُ مُحَصَّنًا بِإِيمَانِهِ ضِدَّ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ ، فَمَا اسْتَطَاعَ إِبْلِيسُ أَنْ يُغْرِيَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا يُغْرِى بِهِ الْأَغْنِيَاءَ ! وَمَا قَدَرَ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ بِهِ إِلَى مَا كَانَ يَدْفَعُ إِلَيْهِ أَمْثَالَهُ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ . . ! !

سَاقَ إِلَيْهِ ضِعَافَ النُّفُوسِ مِنْ بَنِى الْإِنْسَانِ يَحُضُّونَهُ عَلَى الْمُخَالَفَةِ ، وَتَنَكُّبِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ! وَدَفَعَ فِى طَرِيقِهِ بِشَيَاطِينِ الْبَشَرِ يُحَرِّضُونَهُ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِى ! فَأَتَاهُ بِشِرْذِمَةٍ مِنَ النَّاسِ يُزَيِّنُونَ لَهُ اللَّهْوَ وَالْمُجُونَ وَالْمُتْعَةَ الْمُحَرَّمَةَ وَيَدْعُونَهُ إِلَى تَرْكِ التَّقَشُّفِ ، وَإِلَى التَّهَاوُنِ فِى الْعِبَادَةِ لِيُنَعِّمَ نَفْسَهُ بِمَبَاهِجِ الدُّنْيَا ، وَيُمَتِّعَهَا بِمَا أُوتِىَ مِنْ نَعَمٍ وَجَاهٍ وَمَالٍ . وَلَٰكِنَّ قَلْبَ أَيُّوبَ كَانَ تَقِيًّا نَقِيًّا ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِمَا زُيِّنَ لَهُ ؛ وَكَانَتْ نَفْسُهُ مُؤْمِنَةً وَرِعَةً ، فَلَمْ تَسْمَعْ مَا دُعِيَتْ إِلَيْهِ .

كَانَتْ مُتْعَةُ أَيُّوبَ فِى أَنْ يَكْفُلَ أَيْتَامًا مَاتَ عَنْهُمْ عَائِلُهُمْ ، وَكَانَتْ بَهْجَتُهُ فِى أَنْ يُسَاعِدَ بِمَالِهِ أَرْمَلَةً ذَهَبَ عَنْهَا رَجُلُهَا ،

أوْ فَقِيرًا أَضَرَّ بِهِ فَقْرُهُ ، أَوْ عَاجِزًا أَقْعَدَهُ عَجْزُهُ ؛ فَيَشْعُرَ بِالسَّعَادَةِ لِسَعَادَتِهِمْ وَيَهْنَأَ لِهَنَاءَتِهِمْ ، وَيَشْكُرَ اللهَ عَلَى أَنْ هَيَّأَ لَهُ كُلَّ هٰذِهِ السَّعَادَةِ وَكُلَّ هٰذَا الْهَنَاءِ . . ! !

كَانَ مَجْلِسُ أَيُّوبَ الْحَبِيبُ لِنَفْسِهِ الْمُقَرَّبُ إِلَى قَلْبِهِ ، هُوَ حِينَ يَجْلِسُ إِلَى أَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ : يَلْدَدَ وَالْيِفَرَ وَصَافِرَ الَّذِينَ كَانُوا يَدِينُونَ بِدِينِهِ : دِينِ اللهِ ، وَيَتَّبِعُونَهُ فِى صَلَاحِهِ وَتَقْوَاهُ فَيَجْلِسُونَ مَعَهُ الْمَجَالِسَ الطَّوِيلَةَ ، يَذْكُرُونَ صِفَاتِ اللهِ ، وَيُعَدِّدُونَ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ ، وَيَتَحَاوَرُونَ وَيَتَحَاجُّونَ فِى أَنْجَعِ الطُّرُقِ وَأَصْلَحِهَا لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ ، وَالْخُرُوجِ بِأَهْلِ بَلَدِهِمْ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى،وَمِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

وَطَالَ الْأَمَدُ بِإِبْلِيسَ دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْوُصُولَ إِلَى غَايَتِهِ مِنَ اسْتِمَالَةِ أَيُّوبَ إِلَيْهِ ، فَكَادَ أَنْ يَيْأَسَ مِنْهُ، وَيَنْصَرِفَ عَنْهُ ، لَوْلَا أَنْ أَصَابَ اللهُ أَيُّوبَ بِبَلَاءٍ لَمْ يَكُنْ مُنْتَظَرًا . سُرَّ لَهُ إِبْلِيسُ وَفَرِحَ ، فَعَاوَدَ مَعَ أَيُّوبَ نَشَاطَهُ مِنْ جَدِيدٍ ، لِظَنِّهِ أَنَّ الْبَلَاءَ سَوْفَ يُضْعِفُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيُزَعْزِعُ مِنْ إِيمَانِهِ . . ! !

وَقَدْ أَتَى الْبَلَاءُ أَيُّوبَ عَلَى صُوَرٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُتَتَابِعَةٍ ،

وَكَانَ أَوَّلُهُ أَنْ أَرَادَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الذَّهَابَ إِلَى حَاكِمِهَا فِي ظُلَامَةٍ لَهُمْ ، وَكَانَ الْحَاكِمُ رَجُلًا مِنَ الْجَبَّارِينَ الْعُتَاةِ الظَّالِمِينَ ، فَطَلَبُوا مِنْ أَيُّوبَ أَنْ يَصْحَبَهُمْ إِلَيْهِ ، لِمَا يَعْرِفُونَ مِنْ عَدْلِ أَيُّوبَ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ .

فَلَمَّا كَانُوا بِحَضْرَةِ الْحَاكِمِ بَسَطَ الْمُتَظَلِّمُونَ ظُلَامَتَهُمْ ، وَأَدْلَوْا بِحُجَّتِهِمْ ؛ وَلَـٰكِنَّ الْحَاكِمَ لَمْ يُنْصِفْهُمْ وَلَمْ يُتَابِعْهُمْ عَلَى رَأْيِهِمْ ، وَنَظَرَ الْمُتَظَلِّمُونَ إِلَى أَيُّوبَ الَّذِى كَانَ سَاكِنًا سَاكِتًا لَا يُبْدِى رَأْيًا رَغْمَ عَدَالَةِ مَطْلَبِهِمْ – يَسْتَنْجِدُونَ بِهِ أَنْ يُؤَيِّدَهُمْ فِي شَكْوَاهُمْ ، وَيُسَاعِدَهُمْ فِي مَطْلَبِهِمْ ، وَيَعْمَلَ عَلَى رَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُمْ. وَلَـٰكِنَّ أَيُّوبَ ظَلَّ كَمَا هُوَ سَاكِنًا سَاكِتًا لَا يُبْدِى رَأْيًا .

وَانْصَرَفَ الْمُتَظَلِّمُونَ مِنْ لَدَى الْحَاكِمِ ، وَهُمْ سَاخِطُونَ عَلَى أَيُّوب ، حَانِقُونَ مِنْ مَسْلَكِهِ مَعَهُمْ ، يَتَسَارُّونَ وَيَتَهَامَسُونَ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ التَّسَارِّ وَالتَّهَامُسِ إِلَى الْإِعْلَانِ وَالنِّقَاشِ! فَمِنْ قَائِلٍ : لَقَدْ كَانَ مَسْلَكُ أَيُّوبَ مَعَنَا الْيَوْمَ عَجَبًا !!

وَمِنْ قَائِلٍ : لَا بُدَّ أَنَّ لِأَيُّوبَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ غَايَةً ! !

وَيَتَسَاءَلُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ : لِمَ فَعَلَ أَيُّوبُ هٰذَا يَا تُرَى ؟ ! !

فَيُجِيبُ فَرِيقٌ آخَرُ : لَا بُدَّ أَنَّ لَهُ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ نَفْعاً لَا بُدَّ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ مُغَاضَبَةَ الْحَاكِمِ ! لَا بُدَّ أَنَّهُ يَخْشَى عَلَى جَاهِهِ وَأَمْوَالِهِ!

وَهٰكَذَا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَشُكُّونَ فِي أَيُّوبَ ، وَفِي إِخْلَاصِهِ لَهُمْ ؛ وَابْتَدَأَتْ مَكَانَةُ أَيُّوبَ تَضْعُفُ بَيْنَ قَوْمِهِ .

وَفَرِحَ إِبْلِيسُ وَقَهْقَهَ ضَاحِكًا ، وَكَانَ ذٰلِكَ أَوَّلَ الْبَلَايَا الَّتِي لَحِقَتْ بِأَيُّوبَ .. ! ! ثُمَّ جَاءَتْهُ الْبَلَايَا بَعْدَ ذٰلِكَ تَتَتَابَعُ !

فَمَا مَضَى عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ حَتَّى أَصَابَ مَزَارِعَهُ الْجَفَافُ ، وَأَصَابَتْ ثِمَارَهُ الْآفَاتُ : فَذَبُلَ زَرْعُهُ، وَتَسَاقَطَ ثَمَرُهُ، وَأَصْبَحَتْ أَرَاضِيهِ عَفْرَاءَ قَحْلَاءَ؛ فَجَاعَتْ دَوَابُّهُ : فَذَابَ شَحْمُهَا، وَهُزِلَ لَحْمُهَا، وَبَرَزَ عَظْمُهَا، وَجَفَّ ضَرْعُهَا، ثُمَّ هَلَكَتْ جَمِيعُهَا، ثُمَّ سَرْعَانَ مَا ذَهَبَتِ الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَةُ مِنْ أَمْوَالِ أَيُّوبَ ! وَبَقِيَ أَيُّوبُ وَلَا مَالَ لَهُ .. ! !

وَفَرِحَ إِبْلِيسُ وَقَهْقَهَ ضَاحِكًا ... ؟ وَقَالَ لِنَفْسِهِ مُنْتَشِياً ظَافِرًا : تِلْكَ هِيَ فُرْصَتِي ، وَذَاكَ هُوَ مَجَالِي ، فَهٰذِهِ هِيَ الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهَا الرِّجَالُ .

وَذَهَبَ إِلَى ذَوِي النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ مِنْ قَوْمِ أَيُّوبَ يَنْفُثُ فِي قُلُوبِهِمْ بِسُمُومِهِ ، وَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ بِمَا يُرِيدُ مِنَ الْأَقْوَالِ

الَّتِي سُرْعَانَ مَا وَعَاهَا هٰؤُلَاءِ لِيُذِيعُوهَا هُنَا وَهُنَاكَ .

فَذَهَبَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يُشَنِّعُونَ عَلَى أَيُّوبَ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ أَذْهَبَ إِلٰهُ أَيُّوبَ مَا أَعْطَاهُ مِنْ مَالٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُرَاعِي غَيْرَ نَفْسِهِ ، بِدَلِيلِ مَا ظَهَرَ لَنَا يَوْمَ ذَهَابِنَا إِلَى الْحَاكِمِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ لَنَا قَبْلَ ذٰلِكَ غَيْرَ مَا يُبْطِنُ .

أَوْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ إِلٰهُ أَيُّوبَ الَّذِي يَعْبُدُهُ قَادِرًا عَلَى شَيْءٍ لَمَا وَصَلَ بِهِ إِلَى هٰذِهِ الْحَالِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ .

وَذَهَبَ فَرِيقٌ آخَرُ إِلَى أَيُّوبَ يَقُولُونَ لَهُ : لَقَدْ ظَلَلْتَ طُولَ حَيَاتِكَ تَعْبُدُ رَبَّكَ وَتَدْعُو إِلَيْهِ ، وَتُحَرِّمُ عَلَى نَفْسِكَ طَيِّبَاتِ الْمُتَعِ وَمَبَاهِجَ الْحَيَاةِ ، فَمَا الَّذِي كَانَ جَزَاؤُكَ مِنْهُ ؟ ! ! لَقَدْ أَخَذَ مَالَكَ ، وَأَضَاعَ جَاهَكَ ، وَأَصْبَحْتَ فِي شَرِّ حَالٍ .

قَالَ أَيُّوبُ : إِنَّ الَّذِي خَلَقَنِي وَأَعْطَانِي الْمَالَ هُوَ رَبِّي ، فَإِذَا شَاءَ أَعْطَى ، وَإِذَا شَاءَ أَخَذَ ؛ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَفْرَحَ حِينَ يُعْطِينِي الْمَالَ . وَلَا أَنْ أَجْزَعَ حِينَ يَقْبِضُهُ عَنِّي . بَلْ يَجِبُ أَنْ أَشْكُرَ اللهَ الَّذِي خَلَقَنِي عَلَى أَيِّ حَالٍ صَيَّرَنِي إِلَيْهَا غَنِيًّا كُنْتُ أَوْ فَقِيرًا ! ! حِينَئِذٍ انْصَرَفَ الَّذِينَ أَتَوْا إِلَى أَيُّوبَ

يَحْمِلُونَ إِلَيْهِ تَعَالِيمَ إِبْلِيسَ مِنْ حَضْرَتِهِ وَهُمْ فِي دَهْشَةٍ وَانْصَرَفَ مَعَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ وَهُمْ مَخْذُولُونَ مَدْحُورُونَ .

وَمَضَى وَقْتٌ عَلَى ذَهَابِ مَالِ أَيُّوبَ ، وَأَيُّوبُ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ : نَفْسٌ رَاضِيَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ وَادِعَةٌ لَا تَكُفُّ عَنْ طَلَبِ الْغُفْرَانِ لَهَا وَلِغَيْرِهَا مِنَ الْبَشَرِ ، دَائِمَةُ الشُّكْرِ لِلَّهِ ! وَالْحَمْدِ لَهُ !

ثُمَّ ... ثُمَّ كَانَ أَنِ ابْتَلَى اللهُ أَيُّوبَ بِمِحْنَةٍ أَشَدَّ وَأَنْكَى..!!

فَبَيْنَمَا أَيُّوبُ وَزَوْجُهُ قَدْ خَرَجَا إِلَى إِحْدَى ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ فِي صَالِحٍ لَهُمَا . أَتَى أَيُّوبَ النَّذِيرُ يَنْعَى إِلَيْهِ أَوْلَادَهُ جَمِيعًا .. ! !

أَتَاهُ نَفَرٌ مِنَ الرِّجَالِ يَصِيحُونَ بِهِ مُوَلْوِلِينَ قَائِلِينَ : يَا لَلْهَوْلِ ! يَا لَلْفَجِيعَةِ ! مَا أَعْظَمَ مَا أَصَابَكَ يَا أَيُّوبُ ! ! وَمَا أَشَدَّ مَا نَزَلَ بِكَ ، وَابْتُلِيتَ بِهِ . . ! ! لَقَدِ انْقَضَّتْ جُدْرَانُ دَارِكَ فَسَقَطَ بِنَاؤُهَا عَلَى أَوْلَادِكَ فَمَاتُوا جَمِيعًا ! !

وَاسْتَمَعَ أَيُّوبُ إِلَى هَؤُلَاءِ النُّعَاةِ يَنْعَوْنَ أَوْلَادَهُ إِلَيْهِ ، وَيَصِفُ لَهُ كُلٌّ مِنْهُمْ كَيْفَ كَانَ مَوْتُهُمْ ! وَكَيْفَ كَانَ مَصْرَعُهُمْ ! فَنَكَسَ أَيُّوبُ رَأْسَهُ ، وَتَسَاقَطَتِ الدُّمُوعُ تِبَاعًا مِنْ عَيْنَيْهِ تُبَلِّلُ لِحْيَتَهُ .. ! ! حِينَئِذٍ فَرِحَ إِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يَرْقُبُ

الْمَشْهَدَ عَنْ كَثَب ، وَقَهْقَهَ ضَاحِكاً ، وَأَسْرَعَ إِلَى النُّعَاةِ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ : أَنْ زِيدُوا أَيُّوبَ قَوْلاً ، وَزِيدُوه وَصْفاً ، عَسَى أَنْ يَتزَعْزَعَ إِيمَانُهُ ، وَيَخْرُجَ عَنْ صَبْرِهِ ! فَنَشِطُوا وَعَلاَ صِيَاحُهُمْ :

وَاهًا لَكَ يَا أَيُّوبُ ! إِنَّ مُصَابَكَ لَيجَلُّ عَنِ الْعَزَاءِ ، إِنَّ مَا أَتَاكَ فِي أَوْلاَدِكَ جَمِيعاً لَمِمَّا يَعجزُ عَنْ وَصْفِ شِدَّتِهِ اللِّسَانُ ! وَاهاً لَكَ يَا أَيُّوبُ ! لَوْ رَأَيْتَ كَيْفَ كَانَ مَصْرَعُ أَوْلاَدِكَ ! وَكَيْفَ تَكَسَّرَتْ عِظَامُهُمْ ، وَتَبَعْثَرَتْ أَشْلاَؤُهُمْ ، وَسَالَتْ دِمَاؤُهُمْ ، وَتَنَاثَرَتْ أَمْخَاخُهُمْ ، وَجَحَظَتْ عُيُونُهُمْ !! . . لَوْ رَأَيْتَ . . . لَوْ رَأَيْتَ . . .

إِذْ ذَاكَ رَفَعَ أَيُّوبُ رَأْسَهُ ، وَنَظَرَ إِلَى مُحَدِّثِيهِ مِنْ خِلاَلِ قَطَرَاتِ دُمُوعِهِ وَقَالَ : لَقَدْ كَانَ أَوْلاَدِي وَدِيعَةً مِنَ اللهِ عِنْدِي ، فَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ قَبَضَ أَرْوَاحَهُمْ فَقَدِ اسْتَرَدَّ وَدِيعَتَهُ ، وَرَفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَشَمِلَهَا بِرَحْمَتِهِ . . ! !

ثُمَّ نَهَضَ أَيُّوبُ يُصَلِّي لِلهِ شُكْرًا ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الرَّحْمَةَ وَالْغُفْرَانَ لَهُ وَلِأَوْلاَدِهِ . . ! !

يَا إِلَهِي . . ! ؟ لِلهِ دَرُّكَ يَا أَيُّوبُ . . . ! ! فَمَا أَشْجَعَكَ ! وَمَا أَصْبَرَكَ ! !

وَانْصَرَفَ إِبْلِيسُ وَشَيَاطِينُهُ مَخْذُولِينَ مَدْحُورِينَ . . . !

أَكَانَ هٰذَانِ الْبَلاءَانِ آخِرَ مَا أَصَابَ أَيُّوبَ ؟ أَمْ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ مُخَبَّأٌ لَهُ بَيْنَ صَفَحَاتِ الْقَدَرِ ؟ ! !

أَجَلْ!! لَقَدْ كَانَ لاَ يَزَالُ مُخَبَّأً لِأَيُّوبَ بَيْنَ صَفَحَاتِ الْقَدَرِ مَا هُوَ أَشَدُّ وَأَنْكَى ! !

فَمَا مَضَى عَلَى مَا حَدَثَ لِأَوْلَادِهِ إِلاَّ قَلِيلٌ حَتَّى ابْتَلاَهُ اللهُ بِمَرَضٍ هَدَّ قُوَاهُ ، وَأَنْهَكَ جَسَدَهُ ، فَقَدِ انْتَشَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ تَدَرُّنَاتٌ حَمْرَاءُ مُلْتَهِبَةٌ ، مَالَ أَيُّوبُ إِلَى حَكِّهَا بِأَظَافِرِهِ فَمَا حَكَّهَا حَتَّى ازْدَادَتِ الْتِهَاباً ، فَزَادَ فِي حَكِّهَا فَدَمِيَتْ وَتَقَرَّحَتْ ، وَاتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى شَكْلِ بُثُورٍ وَخَرَارِيجَ وَتَقَيُّحَاتٍ دَامِيَةٍ ، مَا لَبِثَتْ أَنْ مَلَأَتْ جِلْدَهُ ، وَانْتَشَرَتْ عَلَى سَائِرِ بَشَرَتِهِ !

وَذَهَبَتْ رَحْمَةُ زَوْجَةُ أَيُّوبَ تَلْتَمِسُ لَهُ الدَّوَاءَ عِنْدَ أَهْلِهِ الَّذِينَ آوَوْهُمَا بَعْدَ ضَيَاعِ مَالِ أَيُّوبَ وَخَرَابِ دِيَارِهِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يُفِدْ أَيُّوبَ دَوَاءٌ! فَذَهَبَتْ مِنْ جَدِيدٍ تَلْتَمِسُ عِنْدَ أَصْدِقَائِهِ عَقَّاراً لِمَرَضِهِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يُثْمِرْ مَعَ أَيُّوبَ عَقَّارٌ !

وَطَالَتِ الْحَالُ بِأَيُّوبَ وَهُوَ يُعَانِي مَا يُعَانِي، لاَ يُسْمَعُ مِنْ صَوْتِهِ

إلاَّ الشُّكْرُ لِلّٰهِ ، وَلاَ يُفْهَمُ مِنْ تَمْتَمَتِهِ إلاَّ التَّسْبِيحُ بِاسْمِ اللّٰهِ !

وَتَوَافَدَ عَلَى أَيُّوبَ بَعْضُ الْمَعَارِفِ وَبَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ ، مِنْهُمْ مَنْ يَصِفُ لِزَوْجَتِهِ عَقَّارًا لِتُجَهِّزَهُ لَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي لَهَا دَوَاءً وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِي لَهَا بِدِهَانٍ تَدْهُنُهُ بِهِ. وَلٰكِنْ لَمْ يَنْجَعْ فِي جِلْدِ أَيُّوبَ الْمُلْتَهِبِ الْمُتَقَرِّحِ أَيُّ عَقَّارٍ أَوْ دَوَاءٍ أَوْ دِهَانٍ !! بَلِ ازْدَادَتِ الْخُرَاجُ تَقَيُّحًا ، وَكَثُرَتِ الثَّآلِيلُ انْتِشَارًا ؛ وَكَانَتْ تَتَفَجَّرُ هَذِهِ وَتِلْكَ عَنْ أَخْبَثِ مَادَّةٍ ، وَأَكْرَهِ رَائِحَةٍ !!

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَتَتَابَعَتِ الشُّهُورُ ، وَأَيُّوبُ تَزْدَادُ حَالَتُهُ سُوءًا ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ قِيَامًا وَلَا قُعُودًا ؛ وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ لِعَفَنِ قُرُوحِهِ، وَنَتْنِ رَائِحَتِهَا ؛ فَبَرِمَ النَّاسُ بِهِ، وَنَفَرُوا مِنْهُ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زِيَارَتِهِ، وَتَذَمَّرَ أَهْلُهُ مِنْ جِيرَتِهِ وَظَلَّتْ زَوْجَتُهُ هِيَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي تَخْدُمُهُ ، وَتَقْضِي لَهُ حَاجَاتِهِ .

وَمَرَّتِ السِّنُونَ وَأَهْلُ أَيُّوبَ لَا يَسْتَطِيعُونَ عَلَى جِيرَتِهِ صَبْرًا ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ لَهُ قُرْبًا ؛ وَجَهَرُوا بِاسْتِيَائِهِمْ ، وَأَظْهَرُوا تَذَمُّرَهُمْ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ فَلَمْ تَجِدْ رَحْمَةُ بُدًّا مِنْ أَنْ تَعْرِشَ لِزَوْجِهَا عَرِيشًا فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ وَتَنْقُلَهُ إِلَيْهِ .

وانتقلَ أيُّوبُ الّذي كانَ يملِكُ الضِّيَاعَ ، وَيَسْكُنُ الْقُصُورَ إلَى عَرِيشٍ مِنْ قَشٍّ عَلى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَرَغْمَ ذٰلِكَ لَمْ يَتْرُكْهُ النَّاسُ لِحَالِهِ ، بَلْ كَانوا إذَا مَرُّوا عَلَيْهِ أَظْهَرُوا تَذَمُّرَهُمْ ، وأَبْدَوْا تَأَفُّفَهُمْ . وَقَالُوا : لَوْ كَانَ رَبُّ هٰذَا لَهُ حَاجَةٌ فِيهِ لَمَا فَعَلَ بِهِ ذٰلِكَ !

وَإِزَاءَ هٰذَا الّذِى كَانَ يُبْدِيهِ النَّاسُ مِنْ مَظَاهِرِ الاسْتِيَاءِ وَالنُّفُورِ لَمْ تَجِدْ رَحْمَةُ بُدًّا مِنْ أَنْ تَنْقُلَهُ إلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْ طَرِيقِ السَّابِلَةِ ، حَتَّى تَتَّقِيَ أُذُنَاهُ سَمَاعَ أَقْوَالِهِمُ الْمُؤْلِمَةِ وَتَحْجُبَ عَنْ عَيْنَيْهِ إِشَارَاتِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمُ الدَّالَّةَ عَلَى النُّفُورِ مِنْ رُؤْيَتِهِ .

وَهٰكَذَا ظَلَّ أَيُّوبُ تَمُرُّ عَلَيْهِ السَّنَةُ تِلْوَ السَّنَةِ وَهُوَ جَسَدٌ مُلْقًى فِي عَرِيشَةٍ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ حَرَكَةٌ إلَّا حَرَكَةُ لِسَانِهِ فِي فَمِهِ بِذِكْرِ اللهِ ! وَلَا يُسْمَعُ مِنْهُ إلَّا صَوْتٌ يُرَدِّدُ اسْمَ اللهِ.

كَانَتْ رَحْمَةُ زَوْجَةُ أَيُّوبَ تَنْهَضُ صَبَاحاً فَتَقْضِي لَهُ شُئُونَهُ ثُمَّ تَتَوَجَّهُ إلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ تَقُومُ بِخِدْمَةِ النَّاسِ لِتَكْسِبَ لَهَا وَلِأَيُّوبَ ثَمَنَ طَعَامِهِمَا ، وَمَا يَقُومُ بِأَوَدِهِمَا . ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ فِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ بِمَا تَيَسَّرَ لَهَا الْحُصُولُ عَلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ فَتُطْعِمُهُ

وَتَسْقِيهِ ، وَتَقْضِى اللَّيْلَ بِجَانِبِهِ ؛ فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ عَاوَدَتْ مَا فَعَلَتْهُ بِالأَمْسِ .

وَلَكِنَّ هٰذِهِ الحَالَةَ أَيْضًا لَمْ تَدُمْ لِأَيُّوبَ وَلِزَوْجِهِ طَوِيلًا ، فَلَمْ يَلْبَثِ النَّاسُ الَّذِينَ كَانَتْ تَقُومُ رَحْمَةُ بِخِدْمَتِهِمْ أَنِ ابْتَدَءُوا يَشْمَئِزُّونَ مِنْهَا ، وَيَتَذَمَّرُونَ مِنْ خِدْمَتِهَا ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا تَقُومُ عَلَى خِدْمَةِ أَيُّوبَ الْمُبْتَلَى ، وَعَلَى غَسْلِ جُرُوحِهِ ، وَتَضْمِيدِ قُرُوحِهِ ، فَأَظْهَرُوا لَهَا الاِمْتِعَاضَ مِنْ خِدْمَتِهَا لَهُمْ ، ثُمَّ صَارَحُوهَا بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَا تَقُومُ لَهُمْ بِهِ مِنَ الأَعْمَالِ .

وَهٰكَذَا سُدَّتْ مَنَافِذُ الْكَسْبِ فِي وَجْهِ رَحْمَةَ !

وَلَمْ تَدْرِ رَحْمَةُ مَاذَا تَفْعَلُ ! ! وَلَا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لِزَوْجِهَا الْمُبْتَلَى بِمَا يُمْسِكُ بِهِ رَمَقَهُ ، وَيُرَطِّبُ جَفَافَ حَلْقِهِ .

لَقَدْ هَجَرَهُ النَّاسُ وَهَجَرُوهَا ، وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَسْأَلُ عَنْهُمَا ، أَوْ يَسْتَفْهِمُ عَمَّا صَارَ إِلَيْهِ حَالُهُمَا ، وَآلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا . حَتَّى أَصْحَابُ أَيُّوبَ الأَوْفِيَاءُ : يَلْدَدُ وَالْيَفَرُ وَصَافَرُ الَّذِينَ كَانُوا يَدِينُونَ بِدِينِهِ ، وَيَتَّبِعُونَ تَعَالِيمَهُ ، صَارُوا لَا يَزُورُونَهُ إِلَّا لِمَامًا ، وَلَا يُكَلِّفُونَ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يَأْكُلُ وَكَيْفَ يَشْرَبُ !

وَضَاقَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْ رَحْمَةَ ، وَصَانَتْ نَفْسَهَا عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ ، فَمَاذَا تَفْعَلُ ؟ ! إِنَّهَا لَا تَمْلِكُ شَيْئًا تَبِيعُهُ وَتُنْفِقُ ثَمَنَهُ ، لَقَدْ كَانَتْ لَا تَمْلِكُ غَيْرَ عَمَلِهَا وَجُهْدِ سَاعِدِهَا وَقَدْ رَفَضَهُمَا النَّاسُ . فَيَارَبِّ مَا الَّذِي سَتَفْعَلُ رَحْمَةُ ؟ !

وَفَكَّرَتْ رَحْمَةُ وَهَدَاهَا التَّفْكِيرُ إِلَى مَا تَفْعَلُ ! ! وَمَعَ الصَّبَاحِ كَانَتْ رَحْمَةُ تَسِيرُ بِخُطًى سَرِيعَةٍ إِلَى سُوقٍ فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ ، وَيَدُهَا قَابِضَةٌ عَلَى حُزْمَةٍ مَلْفُوفٍ بِهَا شَيْءٌ يَبْدُو أَنَّهَا تَحْرِصُ عَلَيْهِ ، وَتُعَوِّلُ مِنْ وَرَائِهِ عَلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ ! !

وَبَلَغَتْ رَحْمَةُ السُّوقَ ، وَإِلَى الْجَانِبِ الَّذِي تُعْرَضُ فِيهِ حَاجَاتُ النِّسَاءِ مِنْ زِينَةٍ وَعِطْرٍ وَمَلْبَسٍ اتَّجَهَتْ رَحْمَةُ ، وَبِيَدٍ وَجِلَةٍ مُرْتَعِشَةٍ فَتَحَتْ لِفَافَتَهَا ، وَجَلَسَتْ مَعَ الْبَائِعَاتِ وَالْبَائِعِينَ تَعْرِضُ بِضَاعَتَهَا ! وَكَانَتْ بِضَاعَةُ رَحْمَةَ سَبِيكَةً مَضْفُورَةً مِنَ الْخُيُوطِ الذَّهَبِيَّةِ الطَّوِيلَةِ النَّاعِمَةِ ! كَانَتْ بِالْأَمْسِ نِصْفَ شَعْرِهَا ، وَتَاجَ رَأْسِهَا ! !

وَأَقْبَلَتِ النِّسَاءُ الْمُشْتَرِيَاتُ اللَّاتِي يَنْشُدْنَ الْجَمَالَ وَيَرْغَبْنَ فِي الزِّينَةِ فَأُعْجِبْنَ بِسَبِيكَةِ رَحْمَةَ وَتَهَافَتْنَ عَلَى شِرَائِهَا ؛

فَمِنْهُنَّ مَنْ تَرْغَبُ أَنْ تَتَّخِذَ مِنْهَا تَاجًا لِرَأْسِهَا ، وَمِنْهُنَّ مَنْ تُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَهَا صِلَةً لِيَطُولَ شَعْرُهَا ! وَأَخِيرًا فَازَتْ بِهَا وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ ، فَابْتَاعَتْهَا مِنْ رَحْمَةَ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهَا بِثَمَنِهَا . وَسَأَلَتْ أُخْرَى رَحْمَةَ : هَلْ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَأْتِينِي بِضَفِيرَةٍ أُخْرَى مِثْلِ هٰذِهِ؟ فَوَعَدَتْهَا رَحْمَةُ أَنْ تَأْتِيَهَا بِمِثْلِهَا فِي السُّوقِ الْقَادِمَةِ .

وَابْتَاعَتْ رَحْمَةُ بِثَمَنِ شَعْرِهَا طَعَامًا وَشَرَابًا ، وَعَادَتْ إِلَى زَوْجِهَا تُطْعِمُهُ وَتَسْقِيهِ ! مَا أَوْفَاكِ يَا رَحْمَةُ ! وَمَا أَبَرَّكِ !

وَفِي السُّوقِ الْقَادِمَةِ ذَهَبَتْ رَحْمَةُ إِلَيْهَا ، فَبَاعَتِ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ حِلْيَةِ شَعْرِهَا لِتَتَّخِذَ مِنْهَا امْرَأَةٌ أُخْرَى حِلْيَةً مُسْتَعَارَةً لَهَا ، وَتَتَّخِذَ هِيَ مِنْ ثَمَنِهَا مَا يُمْسِكُ رَمَقَهَا وَرَمَقَ زَوْجِهَا .

وَعَادَتْ رَحْمَةُ إِلَى زَوْجِهَا تُفَكِّرُ فِيمَا عَسَى أَنْ تَفْعَلَ بَعْدَ أَنْ يَنْفَدَ ثَمَنُ مَا بَاعَتْ وَمَا الَّذِي بَقِيَ لَهَا لِتَبِيعَهُ؟! وَفِي الطَّرِيقِ قَابَلَهَا شَيْخٌ كَبِيرٌ سَأَلَهَا : يَا رَحْمَةُ ؛ كَيْفَ حَالُكِ وَحَالُ أَيُّوبَ ؟! قَالَتْ : هُوَ عَلَى حَالِهِ مِمَّا ابْتَلَاهُ بِهِ اللهُ .

قَالَ : يَا رَحْمَةُ ؛ لَيْسَ هٰذَا مِنْ فِعْلِ اللهِ ، فَمَا يَفْعَلُ اللهُ ذٰلِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ أَمْثَالِ أَيُّوبَ ؛ وَلٰكِنَّهُ مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ .

سَأَلَتْ رَحْمَةُ : وَكَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ ؟ !

قَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَمَسُّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ بِشَرِّهِ لِيَصْرِفَهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَهٰذَا هُوَ الَّذِى فَعَلَهُ بِزَوْجِكِ .

قَالَتْ : وَمَا الْعَمَلُ لِنَصْرِفَ عَنْهُ شَرَّ هٰذَا الشَّيْطَانِ ؟

قَالَ : قُولِى لِأَيُّوبَ يَتَرَضَّاهُ ، وَلَا يَسْتَعِيذُ مِنْهُ بِاللهِ ، وَأْمُرِيهِ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ ، وَيَسْتَنْجِدَ بِهِ عَسَى أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مَا بِهِ .

قَالَتْ مُسْتَنْكِرَةً لِقَوْلِ الشَّيْخِ : أَيَقْبَلُ أَيُّوبُ أَنْ يَسْجُدَ لِلشَّيْطَانِ ؟ ! إِنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ ذٰلِكَ أَبَدًا . ! !

قَالَ : مُرِيهِ أَنْ يَفْعَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً لِصَالِحِهِ ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ وَإِلَى ذِكْرِ اللهِ .

قَالَتْ : سَأُحَاوِلُ ، وَلَوْ أَنِّى أَعْلَمُ مُقَدَّمًا أَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ ذٰلِكَ .

قَالَ : إِنْ لَمْ يَقْبَلْ فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَذْبَحَ ذَبِيحَةً يُقَدِّمُهَا قُرْبَانًا لِإِبْلِيسَ !

قَالَتْ : إِذَا كَانَ فِى ذٰلِكَ شِفَاؤُهُ فَسَأُحَاوِلُ مَعَهُ بِمَا أَسْتَطِيعُ !

وَسَارَ الشَّيْخُ رَسُولُ إِبْلِيسَ فِى طَرِيقِهِ ، وَسَارَتْ رَحْمَةُ إِلَى زَوْجِهَا وَهِىَ تُفَكِّرُ فِيمَا سَتَقُولُهُ لَهُ ، وَفِيمَا سَتَحُثُّهُ عَلَى

فِعْلِهِ ، وَمِنْ وَرَائِهَا سَارَ إِبْلِيسُ يَفْرُكُ كَفَّيْهِ سُرُورًا لِيَرَى نَتِيجَةَ مُؤَامَرَتِهِ الَّتِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِاتِّبَاعِهَا إِخْوَانُهُ الشَّيَاطِينُ ، حَيْثُ قَالُوا حِينَمَا أُسْقِطَ فِي يَدِهِ مَعَ أَيُّوبَ :

إِيتِ أَيُّوبَ مِنْ قِبَلِ امْرَأَتِهِ كَمَا جِئْتَ آدَمَ مِنْ قِبَلِ حَوَّاءَ!

فَأَتَى إِلَى هٰذَا الشَّيْخِ الَّذِي اعْتَرَضَ طَرِيقَ رَحْمَةَ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ بِمَا قَالَهُ لَهَا ، لَعَلَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ يَكْفُرُ بِاللهِ سَاعَةً ، أَوْ يَرْتَكِبُ ذَنْبًا وَلَوْ صَغِيرًا ! وَذَهَبَتْ رَحْمَةُ إِلَى زَوْجِهَا تَدْعُوهُ أَنْ يَعْمَلَ مَا يُرِيدُ إِبْلِيسُ ، وَيَتَّبِعَ تَعَالِيمَهُ ؛ فَقَدْ يَكُونُ فِي ذٰلِكَ شِفَاءٌ لَهُ . وَنَظَرَ أَيُّوبُ إِلَى زَوْجَتِهِ مُسْتَعْجِبًا مِنْ قَوْلِهَا ، فَقَدْ عَهِدَهَا مُؤْمِنَةً مِثْلَهُ ، لَا تَتَّجِهُ إِلَّا للهِ وَلَا تَسْأَلُ غَيْرَ رَبِّهَا !

وَبِصَوْتٍ ضَعِيفٍ مُتَهَدِّجٍ غَيَّرَ مِنْ نَبْرَتِهِ وَمِنْ لَهْجَتِهِ الْعِلَّةُ الَّتِي بَدَأَتْ تَسْرِي إِلَى لِسَانِهِ قَالَ لِزَوْجَتِهِ لَائِمًا مُسْتَنْكِرًا :

مَا الَّذِي أَصَابَكِ ؟ أَتَدْعِينَنِي أَنْ أَتَّجِهَ لِغَيْرِ اللهِ ؟ ! !

قَالَتْ : يَا أَيُّوبُ ؛ افْعَلْ لَعَلَّ وَعَسَى ، لَقَدْ بَرَّحَ بِكَ الْمَرَضُ وَالْأَلَمُ ، وَضَاقَتْ ذَاتُ يَدِي ، وَسُدَّتْ سُبُلُ الرِّزْقِ فِي وَجْهِي .

قَالَ أَيُّوبُ غَاضِبًا : أَيَئِسْتِ يَا أُخْتَاهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ؟ !

فَاتَّجَهْتِ إِلَى الشَّيْطَانِ ! اُغْرُبِي عَنْ وَجْهِي فَلاَ حَاجَةَ لِي بِمِثْلِكِ ، اِذْهَبِي فَدَبِّرِي أَمْرَكِ ، وَاتْرُكِينِي لِشَأْنِي يَتَوَلَّانِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ .

قَالَتْ : إِلَى مَتَى يَا أَيُّوبُ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَحْمَةَ اللهِ ؟ ! لَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْكَ السِّنُونَ الطَّوِيلَةُ وَأَنْتَ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ دُونَ أَنْ يَنَالَكَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ .

فَصَرَخَ أَيُّوبُ فِي امْرَأَتِهِ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ صَوْتُهُ الضَّعِيفُ وَقَالَ : قُلْتُ لَكِ يَا امْرَأَةُ اتْرُكِينِي وَاغْرُبِي عَنْ وَجْهِي ، قَسَماً بِاللهِ لَئِنْ شَفَانِي اللهُ يَوْماً لَأَضْرِبَنَّكِ مِائَةَ ضَرْبَةٍ !

وَرَأَتْ رَحْمَةُ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تَتْرُكَ زَوْجَهَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، فَتَرَكَتْهُ وَانْصَرَفَتْ ، وَفِي أَثَرِهَا انْصَرَفَ إِبْلِيسُ خَاسِئاً ذَلِيلاً !!

وَفِي الطَّرِيقِ الْتَقَى إِبْلِيسُ بِأَصْحَابِ أَيُّوبَ : يَلْدَدَ وَالْيَفَر وَصَافَرَ ، وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى أَيُّوبَ ، فَعَادَ مَعَهُمْ لَعَلَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَسْوِسَ لَهُمْ بِشَيْءٍ يَعُودُ عَلَى أَيُّوبَ بِالضَّرَرِ !

وَأَقْبَلَ الْأَصْحَابُ عَلَى أَيُّوبَ ، وَجَلَسُوا مِنْهُ عَلَى مَبْعَدَةٍ يَقُولُونَ : يَا أَيُّوبُ : مَا الَّذِي كُنْتَ تَفْعَلُ حَتَّى صَنَعَ اللهُ بِكَ

هٰذَا ؟ ! يَا أَيُّوبُ ؛ لَقَدْ سَمِعْنَا عَنْ عَاقِبَةِ الَّذِينَ كُنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ مِنْ أَمْثَالِهِمْ ، فَمَا عَاقِبَةُ أَمْرِكَ مِنْ عَوَاقِبِهِمْ ؟ ! يَا أَيُّوبُ لقد . .

وَطَالَ تَقْرِيعُ الْأَصْحَابِ الثَّلَاثَةِ لِأَيُّوبَ وَإِبْلِيسُ رَابِضٌ بَيْنَهُمْ ، يُوَسْوِسُ لَهُمْ ، فَرِحاً فِي أَيُّوبَ الَّذِي خَذَلَهُ وَأَذَلَّهُ ، حِينَ يَرَاهُ يُجَاهِدُ فِي الرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِهِ وَالدِّفَاعِ عَنْ عَقِيدَتِهِ .

وَأَتَى فَتًى وَسِيمٌ جَمِيلٌ ، فَجَلَسَ قَرِيباً يَسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِ الْأَصْحَابِ مَعَ أَيُّوبَ ، وَإِلَى حَدِيثِ أَيُّوبَ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يَفْطِنَ أَحَدٌ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَدِيثُ مَبْلَغاً جهد مِنْهُ أَيُّوبُ اقْتَرَبَ الْفَتَى مِنْهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَيُّهَا السَّادَةُ الْكُهُولُ ؛ لَقَدْ عَاشَرْتُمْ أَيُّوبَ وَخَالَطْتُمُوهُ ، وَعَرَفْتُمْ مِنْهُ مَا لَا أَعْرِفُ وَمَعَ ذٰلِكَ قَدْ تَرَكْتُمْ مِنَ الْقَوْلِ أَحْسَنَهُ ، وَمِنَ الرَّأْيِ أَصْوَبَهُ ، وَمِنَ الْأَمْرِ أَجْمَلَهُ ، وَمِنَ الْمَوْعِظَةِ أَحْكَمَهَا . إِنَّ لِأَيُّوبَ عَلَيْكُمْ حَقّاً تَرَكْتُمُوهُ ، وَأَقْبَلْتُمْ عَلَيْهِ لَائِمِينَ عَاتِبِينَ عَائِبِينَ . أَتَدْرُونَ أَيُّهَا الْكُهُولُ حَقَّ مَنِ انْتَقَصْتُمْ ، وَحُرْمَةَ مَنِ انْتَهَكْتُمْ ؟ وَمَنِ الرَّجُلُ الَّذِي عِبْتُمْ وَاتَّهَمْتُمْ ؟ ! لَوْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْكُهُولُ أَنَّ هٰذَا الَّذِي احْتَقَرْتُمُوهُ لِدَائِهِ ، وَنَبَذْتُمُوهُ لِمَرَضِهِ ، وَنَفَرْتُمْ مِنْهُ لِسَقَمِهِ ، مَا هُوَ

إِلَّا صَفِيُّ اللهِ وَحَبِيبُهُ ، وَإِنَّهُ مُنْذُ الْيَوْمِ نَبِيُّهُ وَرَسُولُهُ قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِوَحْيِهِ ، وَأَتَمَّهُ عَلَى نُبُوَّتِهِ ! !

وَنَظَرَ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ إِلَى هٰذَا الْفَتَى الْوَسِيمِ الَّذِى لَمْ يَرَوْهُ مِنْ قَبْلُ ، وَالَّذِى يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ غَرِيبٍ لَهُمْ عَجِيبٍ عَلَيْهِمْ وَقَدْ دَهِشُوا وَتَمَلَّكَهُمُ الْعَجَبُ ! !

وَانْصَرَفُوا ، وَبَقِيَ أَيُّوبُ يَدُورُ فِي ذِهْنِهِ حَدِيثُ أَصْحَابِهِ ، فَيَتَأَلَّمُ ثُمَّ يَذْكُرُ حَدِيثَ الْفَتَى الْغَرِيبِ الَّذِى أَتَى لِيُدَافِعَ عَنْهُ ، فَيَعْجَبُ فِي نَفْسِهِ وَيَدْهَشُ ؛ ثُمَّ يَطُوفُ بِذِهْنِهِ مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ ، وَمَا جَاءَتْ تَعْرِضُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا أَبْعَدَهَا لِأَجْلِهِ ، فَإِذَا بِهِ يَبْتَهِلُ إِلَى اللهِ قَائِلًا : رَبِّ ؛ إِنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ . رَبِّ : إِنِّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، أَبْعِدْ بِقُدْرَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ الدَّاءَ عَنْ لِسَانِي حَتَّى أَسْتَطِيعَ ذِكْرَكَ ، وَأَقْدِرَ عَلَى التَّسْبِيحِ بِاسْمِكَ . . !

وَصَمَتَ أَيُّوبُ ، وَسَكَنَ الْكَوْنُ مِنْ حَوْلِهِ سَلَامًا . . !

وَنَزَلَ وَحْيُ اللهِ عَلَى أَيُّوبَ . . ! !

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ !

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأنبياء – الآيتان ٨٣ ، ٨٤]

يَا لَلّٰهِ . . . مَا أَكْرَمَكَ ! وَمَا أَرْحَمَكَ بِعَبْدِكَ الصَّابِرِ الْمُطِيعِ الْمُخْلِصِ أَيُّوبَ . . ! !

وَضَرَبَ أَيُّوبُ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ الضَّعِيفَةِ كَمَا أَمَرَهُ اللّٰهُ ، فَانْفَجَرَتْ عُيُونٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ زُلَالٍ بَارِدٍ صَافٍ؛ فَاغْتَسَلَ أَيُّوبُ بِمَاءِ إِحْدَى هٰذِهِ الْعُيُونِ الَّذِى فَجَّرَهُ لَهُ اللّٰهُ ، فَإِذَا بِجِلْدِهِ الدَّامِى الْمُتَقَرِّحِ يُصْبِحُ سَلِيماً نَظِيفاً جَمِيلاً ؛ وَشَرِبَ أَيُّوبُ مِنْ مَاءِ عَيْنٍ أُخْرَى ، فَإِذَا بِهِ سَلِيمٌ مُعَافًى ، قَدْ سَرَتْ فِى جِسْمِهِ الْقُوَّةُ ، وَدَبَّ النَّشَاطُ . . ! !

وَكَانَتْ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ اللّٰهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ الَّذِى يَقُولُ لِلشَّىْءِ كُنْ فَيَكُونُ . . ! !

وَجَلَسَ أَيُّوبُ وَقَدِ اسْتَرَدَّ صِحَّتَهُ ، وَعَافِيَتَهُ ، وَرَوْنَقَهُ ، وَجَمَالَهُ ، فِى حُلَّةٍ طَرِيفَةٍ قَشِيبَةٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ، فَشَكَرَ اللّٰهَ عَلَى مَا ابْتَلَاهُ ، وَعَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ ! !

وَنَهَضَتْ رَحْمَةُ مِنْ مَجْلِسِهَا ، وَهِيَ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا قَائِلَةً : إِذَا كَانَ أَيُّوبُ قَدْ طَرَدَنِي ؛ أَأَتْرُكُهُ أَنَا يَمُوتُ فِي الْفَلَاةِ وَحِيدًا ، تَأْكُلُهُ السِّبَاعُ ، وَتَنْهَشُهُ الذِّئَابُ ؟!! وَاللهِ لَأَعُودَنَّ إِلَيْهِ ، أَسْتَسْمِحُهُ عَمَّا أَسْلَفْتُ مَعَهُ مِنَ الذَّنْبِ .

وَأَتَتْ رَحْمَةُ إِلَى حَيْثُ كَانَ زَوْجُهَا تَبْحَثُ عَنْهُ . . ! !

وَارْتَسَمَتْ آيَاتُ الدَّهْشَةِ وَعَلَامَاتُ الْعَجَبِ عَلَى وَجْهِ رَحْمَةَ ، وَوَقَفَتْ مَشْدُوهَةً مَبْهُوتَةً تَنْظُرُ إِلَى مَكَانِ زَوْجِهَا الْخَالِي مِنْهُ ! !

وَدَارَتْ رَحْمَةُ بِعَيْنِهَا هُنَا وَهُنَاكَ تَبْحَثُ عَنْ زَوْجِهَا فَلَمْ تَرَ لَهُ أَثَرًا ، وَإِنَّمَا رَأَتْ رَجُلًا وَجِيهًا تَبْدُو عَلَيْهِ مَظَاهِرُ النِّعْمَةِ ، وَالثَّرَاءِ ، يَجْلِسُ عَلَى رَبْوَةٍ ، وَهُوَ يَنْظُرُ نَحْوَهَا ، وَهَمَّتْ رَحْمَةُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ ، وَتَسْأَلَهُ عَنْ زَوْجِهَا ، وَلَـٰكِنَّهَا أَحْجَمَتْ وَاسْتَحْيَتْ ، وَفَطِنَ الرَّجُلُ إِلَى غَرَضِهَا . فَقَالَ : مَا الَّذِي تَبْحَثِينَ عَنْهُ يَا أُخْتَاهُ ؟

قَالَتْ : أَبْحَثُ عَنْ زَوْجِي أَيُّوبَ الَّذِي كَانَ هُنَا ؟

قَالَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ : أَتَعْرِفِينَهُ إِذَا رَأَيْتِهِ ؟

قَالَتْ : وَكَيْفَ لَا أَعْرِفُ زَوْجِي ؟ ! !

فَسَكَتَ الرَّجُلُ ، وَنَظَرَتْ رَحْمَةُ إِلَى وَجْهِهِ الضَّاحِكِ ، فَعَرَفَتْ فِيهِ زَوْجَهَا حِينَ كَانَ سَلِيماً جَمِيلًا مُعَافًى ! ! فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ تُعَانِقُهُ وَتُقَبِّلُهُ ، لَا تَكَادُ تَسَعُهَا الْأَرْضُ لِفَرْطِ فَرَحِهَا ؛ وَقَدْ أَدْرَكَتْ أَنَّ اللهَ الَّذِي كَادَتْ أَنْ تَيْأَسَ مِنْ رَحْمَتِهِ قَدْ شَمِلَ أَيُّوبَ بِرَحْمَتِهِ ! فَقَالَتْ : سَامِحْنِي يَا أَيُّوبُ ، وَاطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي : قَالَ : لَقَدْ أَقْسَمْتُ يَا رَحْمَةُ إِنْ شَفَانِي اللهُ أَنْ أَضْرِبَكِ مِائَةَ ضَرْبَةٍ ؟

قَالَتْ : اِفْعَلْ يَا أَيُّوبُ ، فَأَنَا بِكُلِّ مَا شِئْتَ رَاضِيَةٌ .

فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ : خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ .

فَجَمَعَ أَيُّوبُ حُزْمَةً تَحْوِي مِائَةَ عُودٍ مِنَ الْقَشِّ ، وَضَرَبَ بِهَا جَمِيعاً زَوْجَتَهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً ، وَبِهٰذَا حَلَّلَ اللهُ أَيُّوبَ مِنْ قَسَمِهِ ، وَعَفَا عَنْ رَحْمَةَ جَزَاءَ بِرِّهَا بِأَيُّوبَ .

وَآتَى اللهُ أَيُّوبَ مَالَهُ وَأَوْلَادَهُ جَمِيعاً ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ! وَكَانَتْ آيَةُ اللهِ فِي ذٰلِكَ أَنْ قَالَ : وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ، رَحْمَةً مِنَّا ، وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ
هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ
رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ
وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة (ص) – الآيات من ٤١ : ٤٤]

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة ، فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل ، للصغار والكبار ، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

١ – آدم	١١ – موسى والسحرة
٢ – نوح	١٢ – موسى وبنو إسرائيل
٣ – هود	١٣ – داوود
٤ – صالح	١٤ – سليمان وملك الجزائر
٥ – إبراهيم الخليل	١٥ – سليمان وبلقيس
٦ – إسماعيل الذبيح	١٦ – يونس
٧ – يوسف الصديق	١٧ – أيوب
٨ – يوسف العفيف	١٨ – ابنة عمران
٩ – يوسف على خزائن مصر	١٩ – عيسى المسيح
١٠ – موسى الرضيع	٢٠ – الحواريون

٥ قروش ج.ع.م.	٥٠ فلساً فى العراق والأردن	٧٠ فرنكاً فى المغرب
٤٠ ق . ل	٥٠ فلساً فى الكويت	٠,٦ ريالا سعودياً
٥٠ ق . س	٦٠ مليماً فى تونس	١ شلنا } فى البلاد
٥٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٧٠ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٤ دولاراً } الأخرى